مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ١٥: ١–١١)

يا إخوةُ أعرِّفُكم بالإنجيلِ الذي بشَّرتُكم به وقَبِلتُموه وأنتم قائِمون فيه* وبه أيضاً تَخلُصون. بأيِّ كلامٍ بشَّرتُكم به إن كنتم تذكرون إلاَّ أن تكونوا قد آمنتُم باطلاً* فإنّي قد سلَّمتُ إليكم أولاً ما تسلَّمتُه أنَّ المسيحَ مات من أجلِ خطايانا على ما في الكُتب* وأنَّه قُبِرَ وأنَّه قام في اليومِ الثالثِ على ما في الكُتب* وأنَّه تراءى لصفا ثم للإثنَي عَشَر* ثمَّ تراءى لأكثرَ من خمسِ مئةِ أخٍ دفعَةً واحِدةً أكثَرُهم باقٍ إلى الآنَ وبعضُهم قد رقَدوا* ثم تراءى ليعقوبَ ثمَّ لجميعِ الرسل* وآخرَ الكُلِّ تراءى لي أنا أيضاً كأنَّه للسِّقط* لأنّي أنا أصغَرُ الرسُلِ ولستُ أهلاً لأن أُسمَّى رسولاً لأنّي اضطهدتُ كنيسةَ الله* لكنّي بنعمةِ الله أنا ما أنا. ونعمتُهُ المعطاةُ لي لم تكن باطِلةً بل تعبتُ أكثر من جميعِهم. ولكن لا أنا بل نعمةُ اللهِ التي معي*

الجهاد الروحي للقديس نكتاريوس العجائبي

في الثالث من شهر أيلول تقيم كنيستنا المقدسة تذكار نقل عظام القديس نكتاريوس، أسقف المدن الخمس العجائبي، وهو أيضاً تذكار الإعلان الكنسي الرسمي لقانونية إكرام رفات أبينا القديس. مَن يقرأ سيرة القديس نكتاريوس (السنكسار، ٩ تشرين الثاني)، يرى كم قست الدنيا ومَن فيها على هذا الإنسان الذي ما لامس الشرُ قلبَه يوماً، ظلماً وحسداً وافتراءات جاوزت حدّ المطاق. في هذه كلها بقي القديس مثبّتاً ناظريه على المصلوب، ملتمساً منه وحده العزاء، ساهراً على طُهر قلبه، مجاهداً صنديداً في ميدان حربٍ ما هدأت منذ الطفولة وحتى نَفَسِه الأخير. في لحظات ضعفه كان القديس يركع أمام المصلوب، ويناجيه قائلاً: «أنا أعرف يا سيدي أن هذه الشرور كلها ليست منك، فقط أعطني أن لا أتمرّد عليك مهما ضعفت». بجهاده الدائم تقدّس أسقف المدن الخمس، ومن خبرته المعاشة كل يوم قال في الجهاد الروحي ما يلي:

غاية حياتنا ومبتغاها أن نقتني الكمال والقداسة. أن نصبح باستحقاق أبناءً لله وورثة لملكوته. فلنحترسنّ إذاً من أن نحرم ذواتنا من هذه الحياة الأبدية الموعودة، بإيلائنا الأولوية لأمور الدهر الحاضر. لا نحيدنّ عن الهدف وعن معنى الحياة الحقيقية باستسلامنا للهموم والضغوط التي هي من هذه الدنيا، وفيها تبقى. الأصوام والأسهار والصلوات، وحدها، لا يمكنها أن تنتج الثمار الموعودة. فهي ليست بحد ذاتها هدفاً، بل وسائل لازمة لبلوغه. زيّنوا إذاً مصابيحكم بالفضائل الحقيقية. جاهدوا، على الدوام، لاقتلاع الأهواء التي فيكم، طهّروا القلب من هذه الأقذار كلّها لكي يصبح مسكناً لله العلي، ولكي يجد فيه الروح القدس محلاً لعطاياه الإلهية.

يا أحبائي، ركّزوا اهتمامكم وانشغالكم على هذا الهدف السامي

العدد ٢٠٠٩/٣٥

الأحد ٣٠ آب

تذكار آبائنا الأجلاء في القديسين ألكسندرس ويوحنا وبولس الجديد رؤساء أساقفة القسطنطينية

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الأول

فسَواءً كنتُ أنا أم أولئك هكذا نكرِزُ وهكذا آمنتم.

الإنجيل

(متى ١٩: ١٦-٢٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ شابٌّ وجثا له قائلاً أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعملُ من الصلاحِ لتكونَ لي الحياةُ الأبديَّة* فقال له لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله.ولكن إن كنتَ تريدُ أن تدخُلَ الحياةَ فاحْفَظِ الوصايا* فقال له أيَّةَ وصايا. قال يسوعُ لا تقتُلْ. لا تزنِ. لا تسرِقْ. لا تشهَدْ بالزور* أكرِم أباك وأمَّك. أحبِبْ قريبَك كنفسِك* قال له الشابُّ: كلُّ هذا قد حفِظتُه منذ صبائي فماذا يَنْقُصُني بعدُ* قال له يسوعُ إن كنتَ تريد أن تكونَ كاملاً فاذْهَب وبِعْ كلَّ شيءٍ لك وأعْطِهِ للمساكينِ فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمعَ الشابُّ هذا الكلامَ مضى حزيناً لأنَّه كان ذا مالٍ كثير* فقال يسوعُ لتلاميذه: الحقَّ أقولُ لكم إنَّه يعسُرُ على الغنيِّ دخولَ ملكوتِ السموات* وأيضاً أقول لكم إنَّ مرورَ الجَمَلِ من ثقْبِ الإبرةِ لأسهلُ من دخولِ غنيٍّ ملكوتَ السموات* فلمَّا

الذي ذكرناه، ولا تهملوه مهما كانت الحال. لتكن صلاتكم إلى الله القدوس من أجل هذا أولاً. في كل لحظة من حياتكم أطلبوا الله قبل كل شيء، أطلبوه حيث يسكن: في داخل القلب وحصراً هناك. ومتى وجدتموه، انتصبوا أمامه بخوف ورعدة كما الشاروبيم والسيرافيم، فالقلب صار إذّاك عرش الله. بيد أنه ينبغي، ومن أجل أن تجدوا السيد، أن تتّضعوا أيما اتّضاع لأن الله «يتقيأ» المتكبر، أما المتواضع القلب فهو يحبّه ويزوره. لأجل هذا تحديداً قال السيد بصوت نبيّه إشعياء «وإلى هذا انظر: إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي». ثابروا في الجهاد الحسن والله بدوره يقوّيكم ويشدّدكم. ومن أسُس هذا الجهاد أن تتقصّوا ضعفاتكم ونقائصكم وأخطاءكم الشخصية وتحدّدوا مكامِنها، فهذا الجهاد المستمر إن هو إلا المرآة الدائمة لحالتنا الروحية: من لم يَخُضْ أبداً في هذه الجهادات، هذا ليس البتة قادراً أن يدرك حقيقة ذاته.

إنتبهوا كثيراً إلى ما قد تعتبرونه «الخطايا الصغيرة». إذا حدث لكم، بلا قصد، أن سقطتم في فخ خطيئة من الخطايا، إياكم أن تيأسوا. إنهضوا على الفور، أحنوا الركبة والقلب أمام الله، القادر وحده أن ينهضكم. لا تغلقوا على ذواتكم في الحزن العميق، هذا الذي لا نفع منه ولا يؤول إلا إلى ستر الكبرياء. حالات الحزن المفرط ولحظات اليأس التي تتملكنا أحياناً، تأتي علينا بالضرر الكبير وغالباً ما تصبح خطراً روحياً جدّياً. هذه الحالات هي، وفي معظم الأحيان، من عمل الشيطان علّنا نوقف الجهاد.

في أعماق دواخلنا ضعفات وأهواء أعمق جذوراً، ولعل منها ما قد أتانا وراثة. هذه لا نتفلّت منها لا بالإنفعالات العصبية ولا بالإستسلام للقلق والقنوط. هذه نشفى منها بالصبر والمثابرة، بالصرامة تجاه الذات، باليقظة الثاقبة والإنتباه الدائم. حقاً، إن السير إلى الكمال طويل وشاق. إسألوا الله أن يمنحكم القوة، واجهوا سقطاتكم بالصبر ومتى نهضتم، لا تطيلوا المقام في موقع السقوط، باكين ناحبين وفي معظم الأحيان بلا عزاء. إحفظوا اليقظة على الدوام، وصلّوا بلا انقطاع لكي لا تقعوا في التجربة. وإذا حدث لكم أن سقطتم في خطايا من التي صارت قديمة، لا تستسلموا لليأس. من هذه الخطايا ما هي أقوى من غيرها، ومنها ما صار لنا متماهياً مع العادات. ومع هذا، فبالوقت والمثابرة والجهد الدؤوب تأتي السبل إلى قهر هذه الخطايا والخلاص منها جذرياً. لأجل هذا، إياكم واليأس!

الصمت

«للسُّكوتِ وقتٌ وللتَّكلُّمِ وقتٌ» (الجامعة ٣: ٧). قلما نجد وقتاً للصمت في أيامنا الحالية، حيث أنّ كلّ ما يحيط بنا يملأه الضجيج؛ فالناس يثرثرون والهاتف يرنّ والسيارات تبوِّق والموسيقى أصبحت صاخبة، وغير ذلك من مظاهر الضجيج، فيأخذ الإنسان بالاعتياد على صخب المعيشة شيئاً فشيئاً، ولا يعود يعرف طعم الصمت اللذيذ، وإذا حدث ووُجِدَ في وسطِ صمتٍ

سمعَ تلاميذُهُ بُهتوا جدًّا وقالوا مَن يستطيعُ إذاً أن يخلُصَ* فنظرَ يسوعُ إليهم وقال لهم أمَّا عند الناسِ فلا يُستطاعُ هذا وأمَّا عند اللهِ فكلُّ شيءٍ مُستطاعٌ.

تأمل

أولئك الذين يحبون المسيح يملكون أفكار المسيح دائماً، يرغبون ويحبون ويطلبون ما يريده. وكل وجودهم وحياتهم يقومان فيه. إرادتهم تكون فعالة وحية لأنها تكون في المسيح الذي به كل صلاح. لا يستطيع المسيحي أن يفعل شيئاً بدون المسيح، كما ان العين لا تستطيع أن ترى بدون النور. الخير لإرادة المسيحي هو كالنور للعين. وبما ان المسيح هو نبع الخيرات فإرادتنا تصبح مائتة خاملة إذا لم تكن خاضعة كلياً له، إذا بقي قسم منها خارج هذا الكنز «من لا يبقى فيّ يطرح خارجاً كغصن الكرمة الذي يجف ويلقونه في النار» (يوحنا ١٥: ٦). إذا أردنا أن نقتدي بالمسيح ونحيا كحياته يجب أن تخضع كل إرادتنا لإرادته. ان إرادة قوية كاملة خاضعة للرب في كل شيء تقود إلى الحياة المغبوطة. ان عقل الإنسان وإرادته

ما فإنّه لا يعرف كيف يتصرّف لينقّي ذهنه من الصراخ العالي.

نمط حياتنا الصاخب اليوم جعلنا ننسى كيف نصمت لكي نسمع؛ حتى اننا لم نعد نعرف كيف نصلي بصمتٍ، الأمر الذي جعل البعض يُدخِلون الموسيقى العالميّة الصاخبة والألحان الغنائيّة التي اعتادت عليها الأذن الجسديّة إلى الخِدَم الكنسيّة، الأمر الذي أثّر سلباً على كيفيّة ترويض جسديّتنا التي غلبت الروحانيّة في أيامنا الحاليّة. لم يعد إنسان اليوم يدرِّب أذنيه على سماع صوت الله، لم يعد يعرف كيف يصمت ليسمع، نسيَ أنّ الإنسان يعبّر عن عبادتِه لله بصمتٍ ملؤه الخشية والإحترام (مراثي ٢: ١٠، خروج ١٥: ١٦).

إنّ الصمت ينجّينا من مشاكل جمّة في الكثير من الأحيان إذ لا خطرَ فيه إذ إنّ «الموت والحياة في يد اللسان» (أمثال ١٨: ٢١). فعن اللسان البذيء يصدر الكذب والغشّ والرياء والاغتياب والنميمة (مزمور ١٠:٧؛ سيراخ ٥١: ٢– ٦)، إنّه أفعى (مزمور ١٤٠: ٣) وسيفٌ حادّ (مزمور ٥٧:٤) وسهمٌ قاتل (إرميا ٨:٩، ١٨: ١٨). فمتى صَمَت الإنسان يكلّمه الرب معلّماً إيّاه كيف يصلّي وكيف يجعل من لسانه فضّةً نقيّة (أمثال ١٠: ٢٠) هاذًا بعدل الله ومعلناً حمده (مزمور ٣٥: ٢٨، ٤٥: ٢). إذاً، الصمت هو أداة تعليميّة، فإنّ مرتا انشغلت بالضجيج العالميّ وارتبكت بأمور كثيرة وأرادت أن تجعل أختها مريم مثلها إذ طلبت من الرب أن يجعلها تساعدها في تلك الأمور الكثيرة، لكنّ الرب يسوع أراد أن تصبح مرتا مثل مريم أختها، أي أن تهدأ وتصمت وتجلس لكي تسمع كلامه. إضافةً إلى ذلك، نحن نرتّل في صلاة البراكليسي: «لتصمت شفاه المنافقين الذين لا يسجدون لأيقونتك الموقّرة التي صوّرها لوقا الإنجيلي الكليّ الطهر والتي بها اهتدينا»؛ تُظهِر هذه الترنيمة أنّ المنافقين عليهم أن يصمتوا ويسجدوا أمام أيقونة والدة الإله التي تهدينا، إذ إنّ نفاقهم وكلامهم يضلّهم ويضلّ سامعيهم. أمّا بمماثلة صمت والدة الإله وطاعتها لله (لوقا ٢: ١٩) فإنّنا نهتدي إلى التعليم الصحيح وإلى الطريق والحق والحياة.

إنّ الصمت قد يعني التردّد (تكوين ٢٤: ٢١) أو الموافقة (عدد ٣٠: ٥–١٦) أو الارتباك (نحميا ٥: ٨) أو الخوف (أستير ٤: ١٤)، وقد يُظهر الإنسان حريّته بتحكمه بلسانه لكي يتجنّب الزّلل (أمثال ١٠: ١٩) وبخاصة في المجالس الحافلة بالثرثرة أو الأحكام الطائشة (أمثال ١١: ١٢، ١٧: ٢٨)، إلاّ أنّ الله هو الذي يقيم للإنسان أوقاتاً للسكوت وأخرى للكلام، إذ يعبّر الصمت أمام الله عن الخجل عقب الخطيئة (أيوب ٤٠: ٤) أو عن الثقة بالخلاص (خروج ١٤: ١٤).

في النهاية، فلنعمل بنصيحة القديس إسحق السرياني التي تقول: «أحبب الصمت فوق كل شيء» وهكذا يمكننا أن نصلّي أكثر وبشكل أفضل، كما يمكننا أن نخدم الآخرين بصمتٍ كليٍّ لأنّ الخدمة تقتضي الصمت والصمتُ يجلب التواضع. فلنمارس فضيلة الصمت

يجب أن يكونا متحدين بالله، فالعقل لكي يفكر بالله أما الإرادة فلكي تلتصق به بالمحبة.

هذه هي الحياة في المسيح الظاهرة بنور الأعمال الصالحة، بالمحبة. في المحبة يقوم الضياء، ضياء الفضيلة بالمسيح، والحياة في المسيح تفرضها المحبة. لن يخطئ الإنسان إذا سمّى المحبة حياة. فالمحبة للمسيح اتحاد به وهذه الوحدة تشكّل الحياة الحقيقية، كما ان الانفصال عن المسيح يدفع إلى الموت الروحي ويسبّبه لذلك يقول «وصيتي حياة أبدية» (يوحنا ١٢: ٥٠)، وتعني الوصية المحبة. يقول المخلّص «الكلام الذي كلّمتكم به هو روح وحياة» (يوحنا ٦: ٦٣). فإذا كانت الحياة الروحية هي محبة المسيح فمن الواضح ان المحبة هي القوة الوحيدة التي يجب أن تحرّك المسيحي الحقيقي. يقول الرسول بولس ان كل الأشياء ستبطل في الحياة الأخرى أما المحبة فستبقى لأنها ضرورية لغبطة الحياة الأزلية في المسيح يسوع الذي يليق له المجد إلى الدهور.

القديس نيقولا كاباسيلاس

في حياتنا كمسيحيين، في عالم تملأه الغيرة والرغبة في النميمة على الآخرين، وبدلاً من أن نُعمِل ألسنتنا في تهديم حياة الآخرين، لماذا لا نبني أنفسنا والآخرين بالصمت والصلاة واتّباع تعاليم ربنا يسوع المسيح؟ ولا ننسينَّ أن اللسان الذي نلعن بواسطته أخانا الإنسان، هو نفسه يمكننا أن نبارك فيه الله، وهو نفسه العضو الأول الذي يكون عرشاً للجسد والدم الإلهيَّين خلال المناولة. إن الإختيار النهائي هو لنا، فإمّا أن ننشغل بالأحاديث الدنيوية، وإمّا أن نصمت لكي نسمع ما يقوله لنا الرب.

عن حفظ اللسان

إن كان لديك شيء مفيد تريد قوله فافتح فاك. وإن لم يكن فالأفضل أن تسكت. أعامل أنت؟ رنّم المزامير وأنت جالس وإن لم ترد الترنيم بالشفتين فليكن ذلك بالعقل! المزامير نديم وسمير. فلا يحصل لك أدنى ضرر إن كنت جالساً في معملك كأنك في دير. ونحن لا نقصد الرفاهية هنا بل الطباع الصالحة التي تجلب السكينة. فبولس لم يتحمل الضرر لأجل فضيلته حينما كان يشتغل في معمله بالأشغال اليدوية.

كثيراً ما يسبّب الهذيانُ الشرَ. وبالعكس، حِفْظُ اللسان يجلب الخير الكثير. ما الفائدة من البيوت والمدن والأسوار والأبواب إن لم يكن حراس وأمناء على الفتح والغلق. هكذا اللسان والفم لا فائدة منهما إذا لم يسيطر عليهما العقل ويرشدهما إلى الفتح والغلق بدقة واحتراس ليعلما ما يجب أن يُقال وما يجب أن يحفظ في الداخل.

فالحكيم يقول ان الذين سقطوا بعثرات اللسان أكثر من الذين سقطوا من السيوف (سيراخ ٢٨: ٢٢) والمسيح يقول: ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان (متى ١٥: ١١) والحكيم يقول أيضاً: واجعل لفمك باباً ومزلاجاً (سيراخ ٢٨: ٢٩) وإمام المغنين داود حين عرف ان هذا عمل صعب ضمه إلى الصلاة ونادى الله إلى معونته، والحكيم ابن سيراخ يعبّر عن الشيء نفسه بالكلمات الآتية: مَن يجعل حارساً لفمي وخاتماً وثيقاً على شفتي (سيراخ ٢٢: ٣٣) ويلزمنا إتمام هذا الواجب أو الوصية: واجعل لفمك باباً ومزلاجاً.

فلنطلب معونته تعالى لكي نتمّم اجتهادنا بالعمل ولنحفظ فمنا جاعلين عقلنا مزلاجاً له لا ليكون موصداً دائماً بل ليُفتح في الوقت الملائم. فقد يكون أحياناً السكوت أفضل وأحياناً أخرى الكلام أفضل من السكوت، لذلك يقول الحكيم سليمان للسكوت وقت وللتكلّم وقت (جامعة ٣: ٧). لو كان واجباً أن يُفتح الفم دائماً لما لزم له باب ولو كان واجباً أن يغلق دائماً لما لزمت له الحراسة. فالباب والحراسة ليُعمَل كلُ شيء في وقته. ويقول آخر اجعل لكلامك ميزاناً ومعياراً (سيراخ ٢٨: ٢٩) أي أن نلفظ كلامنا باحتراس وازنين إياه ومفكرين به.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb